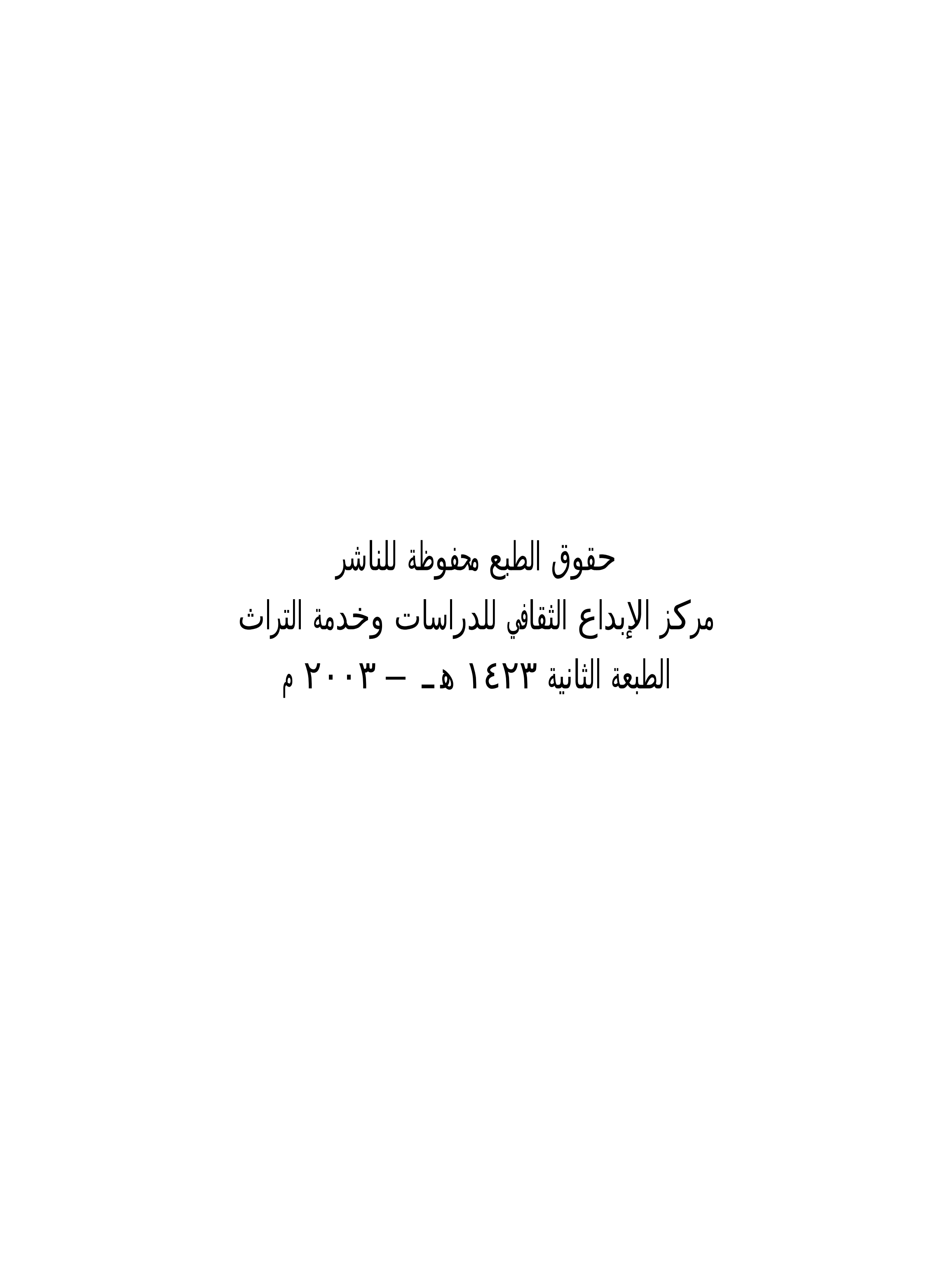
المهاجر إلى الله

الإمام أحمد بن عيسى



مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث

الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

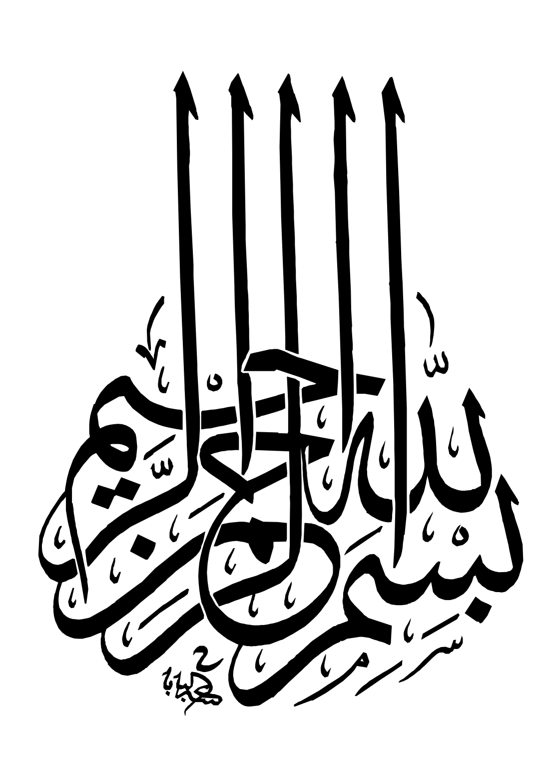
سلسلة أعلام حضرموت ١

المهاجر إلى الله
الإمام أحمد بن عيسى

(٢٧٣ - ٣٤٥ هـ)

بقلم خادم السلف
أبي بكر العدني ابن علي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث
أربطة التربية الإسلامية - عدن


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنا أعطَيناك الكَوثَر . فصل لِربك

وانحَر. إِن شانِئَك هو الأَبتر

الإهداء

إلى شيوخِي الأفاضل..

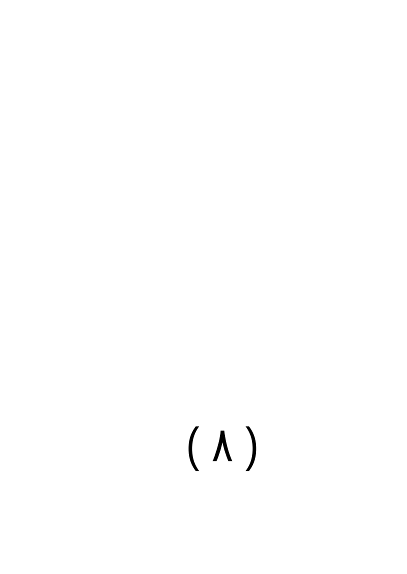
بِقيةِ السلَف..

وأمثلةِ الطريقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإمامِ المهاجِرِ في مشـارق الأرض وفي مغار ا..

وإلى الراغبين في التعرفِ على نماذجِ «السـفينةِ التي من ركِبها نجَا ومن تخَلف عنها هلَك» ..

المُؤلّف



المقدمة

الحمد للّه القائل في محكم بيناته : ﴿مِن الْمُؤْمِنِين رِجالٌ صدقُوا ما عاهدوا اللّه علَيهِ فمِنهم من قَضى نحبه ومِنهم من ينتظِر ومـا بدلُوا تبدِيلا﴾ [الأحزاب: ٢٣] صدق اللّه العظيم .

والصلاةُ والسلام على معلمِ الناسِ الخير وداعيها إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة.. سيدِ هـذه الأمـة وقـدوتها إلى الصـفات المستحسنة.. إمامِ المتقين سيدِنا محمدٍ بن عبد اللّه ، وعلـى آلـه الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، وعلـى التـابعين وتابع التابعين لهم بإحسانٍ وصدقِ اتباعٍ إلى يوم الدين .

وبعد فيقول العبد الفقير إلى عفو مولاه أبـوبكر العـدني ابـن علي بن أبي بكر بن علوي المشهور العلوي نسباً الحضرمي وطنـاً الشافعي مذهباً الصوفيّ مشربا العصري تجربةً ومعاناةً : إنه لما أظْلَم الزمان، وانعدم في محيط العصر تعريف الجيل -خصوصاً من أبنـاء محافظة حضرموت- بتاريخ رجالهم وشيوخهم ، الذين حملـوا في الوطن مشعل الهداية ، وراية الإيمان والتقى والولاية ، أشار علـي بعض الإخوة المخلصين أن أكتب للجيل المعاصر «سلسلةً مختصرةً» عن تاريخ الشيوخ الأفاضل ، الذين إذا رؤوا ذُكِر اللّه ، وأن يكون

عرض هذه التراجم بلسان العصر وأسلوبه ، كي لا يفوت علـى المتأخرين الاستفادةُ من تجربة ومعاناة المتقدمين ، ولتظل الصلةُ بين الأجيال قائمةً على أصولها ، ولمساعدة الشباب على فـك رمـوز المعجم من أخبار وأحوال الشيوخ الأوائل ، التي شحِنت ا كتب التراجم القديمة ، وصارت في نظر الشباب لغزاً محيراً .

وقد استعنت باللّه في هذا الأمر ، وبدأت في كتابة هذه التراجم مبتدئاً بالإمام المهاجر إلى اللّه أحمد بن عيسى النقيب بن محمد بـن علي العريضي.. إلخ النسب المبارك .

ولن أقتصر في عرض التراجم على شخصياتِ « أحفاد الإمـام المهاجر » وحدهم ، بل إنني سـأتعرض إلى كـثيرٍ مـن العلمـاء والفضلاء من أهل وادي حضرموت المنـتمين لمدرسـة السـلف الصالح، وأسأل اللّه تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكـريم ، ومقرباً إلى جنة النعيم ، وخدمةً لعباده السائرين على المنهج القويم ، واللّه ولي التوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

سلسلة نسب الإمام المهاجر

هو السيد الشريف أحمد المهاجر ابن عيسى النقيب ابن محمد بن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت المصطفى صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم.

ميلاده ونشأته

ولد الإمام المهاجر أحمد بن عيسى في مدينة « البصرة » بالعراق ، حيث كان يقيم أهلُه وذَووه ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد ولادته ، كتب المؤرخ السيد محمد ضياء شهاب في كتابه « الإمام المهاجر » [1] : لم يذكر أحد فيما علمنا سِن المهاجر بالتحقيق ، فلعل المراجع التي تخبرنا بذلك قد ضاعت ، ولا عجب فقد ضاعت مراجع كثيرةٌ جداً ، ولكنا نستنتج بما لدينا من بصيصٍ ضئيل لعلنا نصادف جانباً من الحقيقة .

ثم قال بعد بحثٍ واستنتاجٍ ومقارنةٍ تاريخيةٍ بأعمال أولاده وبعض

---

(١) راجع كتابه « الإمام المهاجر » ص١١٩ .

شيوخه: يبدو أن ولادة السيد المهاجر كانت عام ٢٧٣ .

وأما السيد البحاثة سالم بن أحمد بن جندان فقد كتب في مقدمةِ مسنده بما يشير إلى أن المهاجر سمع من النابلسي البصري وعمره أربع سنوات ، فتكون ولادته عام ٢٧٩ .

ونشأ في البصرة تحت رعاية أبويه نشأةً دينيةً علميةً ، عبر عنها السيد محمد بن أحمد الشاطري في « أدوار التاريخ الحضرمي » بقوله: نشأ المهاجر بين آبائه وأعمامه من أئمة ونقباء وعلماء في بيئة تزخر بالعلم والنبل والفضل ، وفي بلد تموج بكبار العلماء ، فدرس العلوم الإسلامية إذ ذاك من حديث وتفسير وفقه وأدب وتاريخ إلى العلوم العقلية على أولئك ، وتثقف بثقافة أهل ذلك العصر ، وقد أجمع المؤرخون القدماء والمعاصرون على تقاه وصلاحه[1] .

وكان عصر الإمام المهاجر عصراً زاهراً بالثقافات والعلوم المتنوعة كالعلوم الشرعية واللغوية والفلسفة والفلك والأدب والتصوف والرياضة الحسابية وغيرها ، كما روى الإمام المهاجر عن جملة من

---

(١) راجع « أدوار التاريخ الحضرمي » (١: ١٥٦) .

علماء زمانه ، وروى عنه آخرون ، وممن روى عنهم : ابن منـده الأصبهاني ، وعبدالكريم النسائي ، والنابلسي البصـري ، ولقيـه الحافظ الدولابي بالبصرة عام ٣٠٦ ، وابـن صـاعد ، والحـافظ الآجري ، وعبد الله بن محمد بن زكريا العوفي المعمر البصـري ، وهلال الحفـار العراقـي ، وأحمـد بـن سـعيد الأصـبهاني ، وإسماعيل بن القاسم الحصصي ، وأبو القاسم النسيب البغـدادي ، وأبوسهل بن زياد، وغيرهم .

وكما كان هذا العصر زاخرا بالعلوم والثقافات فقد كان أيضـا مسرحاً للفتن والحروب والصراعات الفكرية والعسكرية ، وبـين ثناياها رأى المهاجر كثيراً من المحن والبلايا العامة، بل رأى تفَـرق الطالبيين في البلدان ، ورأى سوء الحالة التي عانى منـها الخـاص والعام، وتيقن تفاقم الأمر وهو يشهد الدول الإسـلامية تتلاشـى وحدتها الفكرية والسياسية وتتحول إلى فوضى اجتماعية وأحداث دامية .

ثورة الزنج وفتنة القرامطة

بدأت ثورة الزنج عام ٢٢٥ في عهد الخليفة العباسي المهتدي ، فقاسى السيد المهاجر ما قاساه البصريون والعراقيون وغيرهم مـن أهوال ، وأصيبت البصرة بنكباتٍ[1] ، أما فتنة القرامطة فقد بدأت منذ عام ٢٧٨ بزعامة رجل سمى نفسه يحيى بن المهدي في البحرين،

---

(١) ثار الزنوج في فرات البصرة بقيادة رجلٍ خارجي من الأزارقة في قرية ((ودريفن)) اسمه ((لمول)) ويسمي نفسه علي بن عبد الرحيم ، من قبيلة عبـد القـيس في البحرين ، ثم في الأحساء ، ودعا إلى تحرير العبيـد في البصـرة وضـواحيها ، واستمال قلو م حتى تركوا مواليهم وانضموا إليه ، فعظم شأنه وقويت شوكته، ثم سار إلى بغداد وأقام هناك سنةً واحدةً ، ثم عاد إلى البصرة في عهد المهتدي ، ثم حاربه المعتمد عام ٢٥٦ فانتصر صاحب الزنج ، واضطر أهـالي البصـرة ومـا جاورها إلى مغادرة البلاد ، واستولى الزنج على البصرة سنة ٣٥٧ وذبحوا كـثيراً من أهلها وخربوا مسجدها وأشعلوا النار في المدينة ، وراجع في ذلـك كتـاب ((المهاجر)) ص٢١-٢٢ .

وقال : إن مما ساعد الزنج أن الحاميةَ التي كانت في المدينة ضئيلةٌ جداً ، وقد مزقّتها الضغائن الحزبية والحزازات العصبية ، ويبدو أن المدينة كانت تعاني عصبيةً طائفيةً بين الربعيين -وهم شيعة- وبين السعديين وهم سنية . راجع ((المهاجر)) ص٢٣. وانتهى أمر الزنج عام ٢٧٠ بعد معارك دامية استمرت أربعة عشر عاماً؛ ولكن آثار هذه الفتنة الشنعاء استمرت زمناً طويلاً.

وعمل مع أعوانه على نشر مبادئهم في كافة طبقات ا تمع ، حتى نشروها في جنود الخليفة ، وساعد انشغال الخليفة بفتنة الخـوارج والزنوج على سرعة انتشارهم وتمكنهم في البلاد .

وهكذا عانت البصرة في تلك الحقبة من المحن والفتن ما حرمهـا نصيبها من الطمأنينة والسلام ، وكم رأى الإمام المهاجر من تلـك الفظائع على مدينة البصرة والعراق كلـه منـذ أن شـب إلى أن كهل[1] .

المهاجر يشهد تفرق الطالبيين

أشار المؤرخ عبد اللّه بن نوح في ذيله على كتاب « المهـاجر » ص٣٧ إلى شهود الإمام المهاجر في هذه المرحلة العصيبة من حياته تفَرق العلويين من العراق إلى كافة أنحاء العالم .

وكان في هذا التفرق منافع كثيرةٌ ، إذ انتشر الإسـلام بـذلك التفرق في أقطار كثيرة ، فمنهم من هاجر إلى بلاد الهند ومنهم إلى سومطرة ومنهم إلى جزر الشرق الأقصى وحدود الصين .

---

(١) المصدر السابق ص٢٧-٢٩.

شخصية المهاجر في البصرة[1]

تكونت شخصية هذا الإمام في جو مليء بالمتناقضات ، علـوم وآداب وفلسفات بجوانب حوادثَ داميةٍ وخوفٍ ورعب وصراع ، إضافة إلى نشاط تجاري وزراعي ، بل كان يشهد السفن الكـثيرة القادمة من شتى الأقطار ومعهم محصولا م وما يجلبونه من البضائع والسلع والجنسيات البشرية .

كما كان يشهد في مجرى حياة أسرته شرف المحتد وعزة النفس

---

(١) كتب عبد اللّه بن نوح في ذيل كتاب « المهاجر » ما مثاله:

كان أحمد المهاجر على كرم محتده رفيع المكانة ، عالماً متمولا ، وكان والده عيسى نقيباً للأشراف ، وجده محمد بن علي أكبر أولاد أبيه ، ولد بالمدينة المنورة ثم انتقل إلى البصرة وتوفي سنة ٢٠٣ ، وجده علي العريضي ابن الإمـام جعفـر الصادق ، نسبةً إلى العريض بلدة على أربعة أميال من المدينة ، كان أصغر أولاد أبيه وتوفي والده وهو طفل، خرج مع أخيه محمد بن جعفر بمكة حينما قام بحركته هناك ، ومع محمد بن محمد بن زيد حين قاد حركتـه بـالعراق ، ورحـل إلى خراسان وجاء إلى البصرة وكتب إليه أهل الكوفة يلتمسون مجيئه مـن المدينـة المنورة، فقدم إليها وأقام ا زمناً يأخذون عنه، توفي عام ٢١٠ ، ومن هذا البيت آل العريض بيت المختص ومنهم بنو العجمي من أهل الحـائر ، وآل الرومـي، وينتهون إلى عيسى بن محمد العريضي . راجع المصدر السابق ص٤٣-٤٥ .

ونقاء الضمير ، إلى جانب الثروة المالية والجاه الواسـع ، مشـوباً بالتقوى والاستقامة وألوان الشجاعة ، وهذا أخوه محمد بن عيسى أحد الأبطال الذين قادوا الجيوش وفتحوا البقاع .

هجرة الإمام المهاجر من البصرة

تضافرت الأسباب مجتمعةً في صدر الإمام المهاجر تحثه على اتخاذ قرارٍ حاسمٍ يحفظ به ذريته وذويه من رياح الفتن المتلاحقة على تربة العراق الخصيب ، وكان قرار الخروج من العراق إلى بـلاد اللّـه الواسعة ليس بالقرار الصعب أو المستحيل ، فكثير من الطالبيين من أهله وأسرته قد هاجروا خلال تفاقم الفتن إلى أرجاء عديدة مـن العالم .

لقد كان الإمام المهاجر يبحث عن البديل الملائم الذي يأمن فيه على تِركَتِهِ البشرية وذُريته العلوية ، ويبدوا أن الأقـدار حركـت دواعيه ليرحل ببعضٍ من أسرته إلى الحجاز .

جمع المهاجر أفراد أسرته وأقاربه ، وأباح لهم مكنون رغبتـه في الرحيل عن البصرة وعرض عليهم الأسباب وأوضـح القـرائن ، فوافقوه وأقروا رأيه وأخذوا يعدون العدة في سبيل ترتيب أوضـاع

المهاجرين والمتخلفين ، وكانت الهجرة في أثناء العام الهجري ٣١٧ من البصرة إلى المدينة المنورة .

خرجت القافلة من البصرة إبان خلافة المقتدر باللّه ٢٩٨-٣٢٠ وفيها عدد من آل البيت النبوي وأتباعهم ، وهم :

١- الإمام المهاجر إلى اللّه أحمد بن عيسى[1] .

٢- زوجته زينب بنت عبد اللّه بن الحسن العريضي .

٣- ابنه عبد اللّه بن أحمد المهاجر .

٤- أم البنين بنت محمد بن عيسـى بـن محمـد زوجـة

---

(١) يكاد المؤرخون يجمعون على إطلاق لقب المهاجر على الإمام أحمد بن عيسى منذ أن هاجر من العراق إلى الحجاز ثم استقر في حضرموت ، كتب السيد محمد بـن أحمد الشاطري في « الأدوار » : أما سبب تلقيبه بالمهاجر فلأنه هاجر من البصرة إلى حضرموت لأسباب إصلاحيةٍ ، أهمها الاطمئنانُ على سلامة دينه ودين أتباعه في موضع آمن ، ولم تكن الهجرة من هذا الإمام ِبدعاً ، فهي شيءٌ معتاد عند أئمة الأسرة النبوية منذ أن بدأ الرسول صلى اللّه عليه وسلم فهاجر مـن مكـة إلى المدينة، وتلاه الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه حين هاجر من الحجاز إلى العراق، وقد تبعه بنوه وأحفاده من بعده كالإمام الحسين بن علي والإمام زيد بن علي بن الحسين ، ومحمد النفس الزكية بن عبد اللّه المحض بن الحسن المثنى بـن الحسن السبط وأخواه إبراهيم وإدريس جد الأدارسـة في المغـرب ، وغيرهـم كثيرون. «الأدوار» (١: ١٥٦) .

عبدالله بن أحمد.

٥- إسماعيل بن عبد الله بن أحمد الملقب « بالبصري » .

٦- الشريف محمد بن سليمان بن عبيد الله جد الأشراف الأهادلة[١] .

٧- الشريف أحمد القُديمي جد الأشراف آل قُديم ، أو بنوالقُديمي[٢] .

---

(١) هو الشريف محمد بن سليمان بن عبد الله بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمحام بن عون ابن الإمام موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي العريضي.. إلخ .

هكذا ذكره السيد علي المحدث الطاهر ابن الحسين الأهدل في كتابه « بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن طالب » والأهدل لقب شريف ، قال بعضهم معناها الأدنى ، أي : الأقرب . انتهى عن «المشرع الروي» (١: ١٢٤) ، وتنتشر ذرية الشريف محمد بن سليمان المذكور في شمال اليمن إلى اليوم.

(٢) أشارت بعض كتب الأنساب والتراجم إلى بني القديمي وما تفرع عنهم من الذرية، ومنها رسالة « السيرة المصطفوية والأنساب الفاطمية » للعلامة السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف المكي، وفيها : أن جملة أبناء الحسنين بوادي سردد وما داناها: بنو القديمي ، وبنو الشجر ، وبنو أحمد ، وبنوالولي ، وبنو الصوفي ، وبنو إسماعيل ، وبنو العرب ، وبنو الجروفي ، وبنوالصديق ، وبنو البحر ، وبنوالثلج ، وبنو الشاح.

٨- حاشية الإمام المهاجر، وهم سبعون فـرداً منـهم مواليـه:
جعفر بن عبد الله الأزدي، ومختار بن عبد الله بـن سـعد، وشويه بن فرج الأصهباني.

سلكت القافلة طريق الشام ، إذ كانت الطريق المعتمـدة مـن العراق إلى البلاد المقدسة مضطربة الأمن ، وقد اندرست واندثرت الآبار والعيون والبرك والمحطات المعدة لراحة المسـافرين ، كمـا اندثرت العلامات التي يهتدي ا الناس لسلوك الطريق [1] .

وصلت القافلة إلى المدينة المنورة قادمة من طريق تبوك ، ونـزل المهاجر بمن معه عند أقاربه وذويه ممن كان بالمدينة المنورة ، وأقـام مدة عام كامل ، وهذا العام هو ٣١٧ ، وقد شهد على الصـعيد

فهذه ثلاث عشرة قبيلة يجمعها حسن بن يوسف بن حسن بن يوسف بـن حسن بن يحيى بن سالم بن عبد الله بن حسين بن علي بن آدم بن إدريـس بـن حسين بن محمد الجواد ابن علي الرضى ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصـادق . راجع المصدر السابق ص١١ .

(١) كانت هذه القافلة تسمى درب زبيدة نسبةً إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد ، إذ كانت قد أنفقت في حيا ا الأموال الطائلة لإصلاح وتأمين خدمات هذه الطريق الممتدة عام ٩٠ ، راجع المصدر السابق ص٤٨-٤٩ ، وكان اندثار هذه الطريق بعد عهد الخليفة المتوكل .

العام فتناً وأحداثاً عظاماً ، ففي موسم الحج دخل القرامطة إلى مكة وعاثوا فيها الفساد ، كما انتزعوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه معهم [1] .

في النصف الثاني من عام ٣١٨ توجه الإمام المهاجر بمن معه إلى مكة ، وحج ذلك العام والكعبة من غير الحجر الأسـود ، فكـان الحجاج يضعون أيديهم مكان الحجر .

وفي موسم الحج التقى الإمام المهاجر بجملة من حجاج التـهائم وحضرموت ، فابتهجوا به ورافقوه وامتلؤوا بعلمـه وأخلاقـه ، وأخبروه بفتنة الخوارج المسيطرة على أرض حضرموت آنـذاك ، وطلبوا منه الخروج إليهم فأوعدهم بذلك .

الرحلة إلى التهائم وحضرموت

كانت حضرموت في هذه المرحلة من تاريخهـا تحـت تـأثير الإباضية، وهم أتباع عبد اللّه بن إبـاض المـدي ، وكـان أول

---

(١) انتزع القرامطة الحجر الأسود وحملوه إلى هجر ، وبقي موضعه خالياً نحواً مـن اثنين وعشرين سنة ، ثم أعادوه قائلين : أخذناه بقدرة اللّه ، ورددناه بمشيئة اللّه . المصدر السابق ص٤٩.

ظهورهم في القرن الثاني الهجري على يد عبد اللّه بن يحيى الأموي ، وكان يلقب نفسه بطالب الحق[1] .

كتب عنهم المسعودي في تاريخه : ولحق بقية الخـوارج بـبلاد حضرموت، فأكثرها إباضية إلى هذا الوقت - أي : إلى العام ٣٣٢ عام تأليف تاريخه – ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج إلى هذا الوقت. اهـ .

وبقي المذهب الإباضي سائداً ، وكذلك أهـل السـنة ، إلا أن التأثير كان للخوارج في عموم حضرموت حتى وصل إليها الإمـام المهاجر .

---

(١) ظهر طالب الحق في تلك الفترة التاريخية ومعه جماعةٌ من الخوارج ، فاكتسـحوا حضرموت ونواحيها ، ثم ملكوا صنعاء ، وهاجموا مكة المكرمة ، واشـتبكوا في حروب دامية مع الأمويين حتى انتهت بهزيمة الخوارج ، وقُتل الأعور مع جملة من رجاله وبعث برؤوسهم إلى دمشق عام ١٣٠ ؛ ولكن فتنتهم لم تنتـه . راجـع المصدر السابق ص٥١-٥٢ .

لماذا اختار المهاجر الهجرة إلى حضرموت؟

كتب السيد ضياء شهاب في كتابه « الإمام المهاجر » ما مثالــه: لو كانت الثروة غايته فليست حضرموت ببلد ثروة ، وهو نفســه كان ثرياً ، إذن فهل ذهب لينافح ِنحلةَ الخارجية ؟ وليكون حاجزاً أمام القرامطة الذين يتقدمون؟

الواقع أن الظروف التي أحاطت به والحوادث كانت من أهــم الدوافع التي حدته إلى ترك وطنه ناجياً بنفسه ودينه.. أَلَم تكُــن أرض اللّهِ واسعةً فتهاجروا فيها ، وحديث « يوشِك أَنْ يكُــونَ خير مال المُسلِمِ غَنم يتبع ا شعف الجبال ومواقع القَطْرِ يفِر بدِينه من الفِتن » [1] .

لقد اخترق الإمام المهاجر بذكائه الثاقــب حجــب المســتقبل ، واستشف الستار بنور بصيرته النافذة ، فأرشده اللّه إلى الصواب ، فجعل اللّه له من هجرته إلى حضرموت ثروة إشعاع وهداية للناس، مع ثروته المالية التي بنى ا وأصلح كثيراً مما أفسده الزمان ، كما هدى اللّه به أيضا غلاة الخوارج، وكان للجميع علَم هدايةٍ ونور طريقٍ .

---

(١) المصدر السابق ص٥٦ .

ركب المهاجر ما بين التهائم ومرتفعات حضرموت

خرج الركب الميمون من أرض الحجاز ميمماً صـوب الـيمن السعيد ، ينتقل من قريةٍ إلى أخرى في مظهرٍ فخيمٍ وموكبٍ عظيمٍ ، وبدأت أمور القضاء والقدر تفعل فعلها في نفوس أعضاء الحركـة المباركة ، فهذا السيد محمد بن سليمان الأهدل فـو نفسـه إلى النـزول في قرية المراوعة من ائم اليمن[1] ، وذاك السيد أحمـد القديمي يختار النـزول بوادي سردد من تلك التـهائم ، ليكـون بإرادة اللّه تعالى مظهراً لآل البيت النبـوي وانتشـاراً لذريتـهما المباركة.

أما الإمام المهاجر فقد واصل رحلته من بلاد إلى أخرى حتى بلغ قرية الجُبيل بوادي دوعن ، وكان أهلُها من المحـبين لآل البيـت النبوي، ومكث بين إكرام الأهالي وتعليمهم وإرشادهم ما شاء اللّه

---

(١) جاء في كتاب « المهاجر » ص٤٩ : قَدِم جد بني الأهـدل إلى الـيمن ، وهـو محمد بن سليمان ، فنـزل قرية المراوعة قبلي بيت الفقيه ، وانتشر نسـله حـتى نـزل بعضهم وادي سهام والفخرية وزبيد وأبيات حسين ، وانتقل بعضهم إلى حضرموت.

له أن يمكث ، ثم انتقل إلى الهجرين و ا « الجعـاثم » مـن قبيلـة الصدف ، وهم سنيون [١] .

وبدأ الإمام المهاجر في استجلاب الناس على اختلاف مشار م ومبادئهم يدعوهم إلى التماسك والتآخي والتحابب تحـت مظلـة الإسلام الجامعة ، وكان منهم الخوارج ، فقد جاء إلـيهم جماعـة منهم وتأثروا بدعوته وأخلاقه وتابوا على يديه ، كما قام المشـايخ من آل عفيف سكان الهجرين بنصرة الإمام المهاجر ، والوقوف إلى جانبه مستمدين ومستفيدين ومدافعين ، وقد حمل الإمام المهاجر لهم غاية الود والعرفان لجميلهم وصدقهم[٢] .

وابتنى الإمام المهاجر في الهجرين داراً لا زال أثـره إلى اليـوم ، واشترى نخيلاً وعقاراً ثم وهبها إلى مولاه « شويه » قبيل انتقاله عن الهجرين .

ونـزل بعد خروجه عن الهجرين بقارة بني جشير الواقعة بقرب قرية بور، وأهلها آنذاك سنيون ، ونشر بين أهلها الدعوة إلى اللّـه

---

(٢) تعتبر الهجرين موقعاً وسطاً من قرى الصدف ، حيث كانت قراهم ممتـدةً مـن أواسط وادي دوعن إلى عندل والأحروم وما يلي سدبة.

(١) أشار إلى هذه النصرة كتاب « المهاجر » نقلاً عن مصادر موثوقة ، راجع ص٥٧.

الدعوة إلى اللّه مع كمال الأخلاق والصبر على جفا ا وبـداو ا ، ومنها انتقل إلى قرية الحُسيسة[1] ، واشترى أراضي زراعيةً تسـمى «صوح» بأعلى قرية «بور» .

وفي هذه المرحلة التف حول الإمام المهاجر غالب القبائل هناك ، ولم يتأخر عن اتباع دعوته والتأثر بمذهبه سوى جماعات الخوارج ، ولهذا اتجه الإمام المهاجر نحوهم بكليته راغبا في إقناعهم .

الإمام المهاجر والخوارج

كان دخول الإمام المهاجر إلى حضرموت حدثاً تاريخياً عظيماً ، وكان الحكم إذ ذاك لآل زياد في شمال اليمن ، أما أهل حضرموت

---

(٢) الحُسيسة- بضم الحاء وفتح السين المكررة بينهما تحتية مشددة مكسورة- وهـي قرية بين تريم وسيؤون على نصف مرحلة من تريم، استوطنها المهاجر، وكانـت مدينة عامرة، واشترى ا أكثر أراضي « سوح» ، وهي القلعة المعروفة فيها والبئر العلْوية التي بأعلى مدينة بور، وهذه البئر مشهورة حفرها السيد الجليل علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر وطواها بحجارة كبار كتب اسمه على كل الحجارة مـن الجبل الأعلى، وهو المدماك، انظر « المهاجر » ص١١٠.

والحسيسة الآن خراب ومهجورة، وقد ذكر المؤرخون أن خرا ا كان علـى يد عقيل بن عيسى الصِيراتي سنة ٨٣٩ .

فكانوا مستقلين بالأمر ، ولم يكن كل أهل حضرموت إباضية وإن كانت سلطة القائمين بالمذهب الخارجي تكاد تعم القطر في أزمنـةٍ قصيرةٍ متقطعةٍ ، وكان آلُ أبي فضل وآلُ الخطيب التريميون علـى مذاهب الحق المنتشرة في العالم الإسلامي ذلك العهد .

بدأ الإمام المهاجر يحاور ويناظر الإباضية بالحكمـة والموعظـة الحسنة، ويلاحق مواقع انتشارهم ، مستفيداً من تأثر بقية الفئـات الاجتماعية بدعوته ، ومتخذاً أسلوب الهدوء والخلق النبوي وسيلةً ناجحةً لاستجلاب المخاصم ، وكان الخـوارج يقبلـون الجـدل والأخذ والرد حول مذهبهم ويناقشون العلماء في مختلف المسائل ، وكان للإمام المهاجر قصب السبق في الإقناع والحجة .

كتب السيد الشاطري في « الأدوار » ص١٢٣ : ويظهر أنـهم - أي : الخوارج - يقبلون الجدل والأخذ والرد حول مذهبهم فيما له وما عليه بالطرق السلْمِية ، كما وقع لهم مع الإمـام المهـاجر أحمد بن عيسى العلوي في أثناء القرن الرابع الهجري ، فإنه استعمل معهم طريقة الإقناع والاقتناع ونشر بواسـطتها في حضـرموت المذهب السني ، حتى توارى المذهب الأباضي من حضرموت شيئاً فشيئاً إلى أن رحل عنها ، فعمها المذهب الشـافعي في الأعمـال

والأحكام ، والمذهب الأشعري في العقائد .

هل كان هناك صدام مسلح بين المهاجر والخوارج؟

تضاربت روايات المؤرخين حول مسألة المواجهة المسلحة بين الإمام المهاجر من جهة وبين فئة الخوارج من جهة أخرى ، فبعض المؤرخين يثبت الصدام المسلح ويعتبره الفيصل الناجز بين الفريقين ، وذلك بهزيمة الخوارج على يد أنصار المهاجر، وأما فريق آخر فينفي حدوث هذا التصادم بل ويراه مستحيلا .

كتب السيد الشاطري في « الأدوار » (١: ١٥٠) بعد أن ذكر مواجهة المهاجر للخوارج : ومع ذلك فلم يقع بينه وبين الإباضيين أي صدام مسلح كما تفيد المراجع التاريخية التي بين أيدينا ، ولا يستطيع الباحث المؤرخ أن يجزم بشيء من ذلك وإن سطره بعض المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ حضرموت[١] .

---

(١) يشير السيد الشاطري إلى ما كتبه السيد العلامة عبد اللّه بن محمد السقاف في تعليقاته على « رحلة الأشواق القوية » لباكثير ، فقد صرح فيها بوقوع معارك حربية بينه وبينهم ، وقال: يقال: إن معركة فاصلة وقعت ببحران عندما كان المهاجر مقيماً بالهجرين انكسرت فيها شوكةُ الأباضية ، وانتقل المهاجر على إثرها

أما السيد محمد ضياء شهاب وعبد اللّه بن نوح في كتاب ((المهاجر)) فقد أشاروا إلى معركة بحران [1] ولكن دون تأكيد لمصدر النقل الذي يثبت صحة قيام هذه المعركة .

أما السيد عبد الرحمن بن عبيد اللّه فيقول : إنه ما زال – أي المهاجر – وأولاده يقارعو م الحجج حتى أضرعوا خدود الأباضية وأخفتوا أصوا م ، وكتب بذلك أيضا : إن المهاجر أضعف شوكة الأباضية بما أورده عليهم من صحيح الاستدلال ، ثم تلاه العالم الشيخ سالم -يعني : ابن بصري- فأنزل البدعة إلى أسفل

من الهجرين إلى قارة بني جشير ، قال الشاطري: ولكني اتصلت به -أي السقاف- وكتبت له في الموضوع ليتفضل بذلك المصدر التاريخي فلم يأتِ به .

ونسب بعضهم هذه المادة إلى تعليقات المرحوم أحمد بن حسن العطاس ولم نعلم المصدر الأصلي ، وفي تعليقات العلامة محمد بن عقيل بن يحيى على ديوان ابن شهاب تصريح بأنه هو وأنصاره وبنوه من بعده إلى حدود سنة ٦٠٠ قاتلوا الإباضية ثم تركوا السلاح ولم أطلع على مصدره ، ولعله استنتج من ذلك من أن العلويين إنما حملوا السلاح للقتال والنضال ؛ ولكن لا يمكن إثبات ذلك إلا بنص، إذ قد يكون حملُ السلاح عادةً تقليدية أو للدفاع عن النفس . انتهى من ((الأدوار)) (١: ١٥٠) في الحاشية .

(١) بحران صحراء بين الهجرين وقرية سدبة سكا ا من كِندة.

مرتبتها، ثم عززهما الفقيه المقدم .

الإمام المهاجر والنسب الشريف

دأب البعض من حملة الأقلام في الماضي والحاضر علـى بـذر الشكوك والريب في كل ما يتعلق بآل البيت النبوي ، ومن هـذه الشكوك الكلام في الانتساب إلى الدوحة الشريفة على صـاحبها أفضل الصلاة والسلام، ولعل غرض البعض من هؤلاء ينحصـر في رغبة التأكد والتيقن ، وهذا مطلب لا غبار عليه ، وأمـا الـبعض الآخر فإنما مطلبه الحَط من مقدار أهل هذا البيت ونكايةٌ م حسداً وتشفياً ، وقد عرف التاريخ الإسلامي من كلا الفـريقين أقوامـاً وأقلاما.

ولهذا السبب كان الإمام المهاجر حريصاً كل الحرص على توثيق نسبه ونسب سلالته قبل خروجه من العراق إلى حضرموت ، وكان الإمام معروفاً في البصرة نسبا وحسبا ، وكان بإمكـان الخـوارج الذين واجههم المهاجر في حضرموت أن يطعنوا في هذا النسب لو وجدوا لذلك سبيلا ، ولكن لا وسيلة لجحوده ، بـل لم تـذكر مصادر التاريخ طعنا في نسب المهاجر إبان وجوده في البصـرة ولا

بعد خروجه إلى الحجاز ثم إلى حضرموت، وإنما طلب بعض علماء حضرموت بعد موت الإمام المهاجر تأكيداً لنسب بنيه من مصادر معتبرة، فرحل الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العـراق ورجع بما يؤكد صحة النسب .

كتب في هذا المضمار الشيخ أبو مخرمة في « تاريخه » : لما قـدم أحمد بن عيسى اعترف له أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه ، ثم إ م بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيدا لما ادعوه[1] ، وكان بتريم إذ ذاك ثلاث مئة مفتي ، فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العراق ورجع بالنسبة الشريفة .

ويستفاد من هذا أن أهالي حضرموت قد علموا صحة النسـب للإمام المهاجر فلم يعترضوا عليه ، ولم يطالبوه بإثبات نسبه حـتى من كان معارضاً لدعوته كالخوارج ، وإنما نشأ الإشكال متأخراً ، ثم ما لبث أن زال بعد أن تبين بالدليل القطعي بعد عـودة الإمـام

(١) اعتبر بعض الباحثين هذه اللفظة « ما ادعوه » طعنا في صحة النسب ، وبنى عليها بعض المغرضين حكماً جائراً لا يحمل من الحق رسماً ولا اسماً ، والحقيقة أن هـذه اللفظة مهما كان غرض صاحبها فهي لا تحمل نفيا ولا إثباتا ، بقدر ما توهمـه البعض على غير حجة .

المحدث علي بن محمد بن جديد ببرهان صحة اتصال ذرية المهـاجر بأصولهم الشريفة ، ولم يبق بعد ذلك للمغرضين إلا التعلق بأهداب الوهم والظنون المريضة يلتمسون منها الحط من مقدار هذا البيـت المبارك.

وقد تناول السيد علوي بن طاهر هذا الموضـوع بإسـهاب في إحدى مقالاته المطولة بمجلة « الرابطة العلوية » (م٣/٢: ٩٥) فقال: ومكانة المهاجر ووجود أسرة له وأقارب بالبصرة وبقاء ابنه محمـد على أمواله وكذلك أبناء علي والحسن والحسين ، وذهاب حفيده السيد جديد بن عبدالله للنظر في تلك الأموال وزيارة الأقارب ، ثم ذهاب السيد علي بن محمد بن جديد ، ومسارعة العـدول مـن العراقيين إلى الشهادة بصحة النسب واستثمار الأبنـاء والحفـدة بحضرموت من ريع أموالهم بالعراق سنين طويلة ، ووجود أخـوان وبني أعمام السيد المهاجر بالعراق ، والصلات المستمرة بينـهم ، ووجود السادة الأهادلة وبني قديم باليمن ، وكل ذلك دليل علـى ثبوت النسب وشهرته ، وليس بالسهل للسيد علي بن محمد بـن جديد أن يثبت هذا النسب بعد سنين من وفاة آبائه بعيـدا عـن العراق لو لم يكن النسب ثابتا معروفا بالبصرة ، فإن عليـا ولـد

بحضرموت وكذا والده محمد بن جديد ؛ ولكنهم كانوا على اتصال بمواطن آبائهم وأجدادهم حينما ذهبوا[(١)].

وقد قام جملة من علماء المشجرات والأنساب والتاريخ بتحقيق أنساب ذرية الإمام المهاجر ، وصنفت في ذلك الكتب والمراجـع العديدة منها :

١- ا دي ، والمبسوط ، والمشجر للنسابة الحجة أبو الحسن نجم الدين علي بن أبي الغنائم محمد بن علي العمري البصري ، توفي عام ٤٤٣ .

٢- ذيب الأنساب ، مخطوط للعلامة محمد بن جعفر العبيدلي ، توفي سنة ٤٣٥ .

٣- « عمدة الطالب الكبرى » للعلامة النسابة ابن عنبة جمـال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا الداوودي .

٤- النفحة العنبرية في أنساب خير البرية للعلامة ابن أبي الفتوح أبي فضيل محمد الكاظمي ، عاش إلى سنة ٨٥٩ .

٥- « تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد اللّه وأبي طالب »

---

(١) « المهاجر » ص٦٦ .

للعلامة المؤرخ أبي عبد اللّه محمد بن الحسين السمرقندي المكـي، توفي سنة ٩٩٦ .

٦- زهر الرياض وزلال الحياض للعلامة ضامن بن شدقم المتوفى عام ١٠٨٥ .

ولابن عنبة والإمام المرتضى الزبيدي رسالتان مستقلتان في هـذا النسب الشريف ما تزالان مخطوطتان، ومن الدراسات الحديثـة في هذا المضمار ما كتبه العلامة النسابة السيد سقاف بن علي الكاف رحمه الله تعالى كتاب « دراسة حول أنساب آل البيت » وما كتبه العلامة السيد محمد بن أحمد الشاطري « تزويد الراوي » ردا علـى منكر للنسب تكلم في أجهزة الإعلام.

وغير هذه المراجع كثير ومتداول، والعلة التي تنخـر في الأمـة ليست بسبب قلة التوثيق وندرة المراجع، وإنمـا لضـياع الأمانـة واستعداء أهل الخيانة مع استعلاء ممقوت لدى جملـة آل البيـت، وضعف مستوى ثقافتهم الشرعية، ووقوعهم مثـل غيرهـم مـن أضدادهم تحت تأثير الثقافات الاستشراقية، الـتي غـزت المنطقـة الإسلامية.

وفاة الإمام المهاجر

بعد جهاد طويل وصبر وعناء وطول تجربة واحتكاك بظروف واقع حضرموت أسس الإمام المهاجر قواعد الدعوة إلى الله بمنهجه المتفرد، ورسخ في حضرموت مذهب أهل السنة، وحمل أبناءه وتلامذته وكافة أهل تلك المرحلة أن يقبلوا سلامة المبدأ وعدالة المقصد، وانتقل إلى عالم مولاه راضياً مرضياً في تمام خمس وأربعين وثلاث مئة للهجرة، ودفن في شعب الحُسيسة الشرقي المعروف بـ « شعب مخدم»[1] الذي لم يزل معلوماً ومشهوراً إلى اليوم.

ويلاحظ الزائر ذلك الشعب، وقد شيدت على ضريح الإمام المهاجر تلك القبة والملاحق التي حولها في أعلى الجبل وفي أسفله، ودفن في الحائط الأدنى السيد العلامة أحمد الحبشي، وشيدت عليه أيضاً قبة أخرى، وهناك أضرحة متعددة في خارجها، ولآل الحبشي علاقة وإشراف متوارث على ذلك الشعب منذ القدم، وكانت تقام في ذكرى دخول الإمام المهاجر زيارة سنوية ظلت مدة طويلة قائمة ثم انقطعت؛ ولكنها أعيدت الآن بصورة محدودة، وأضيف إليها في

---

(١) المصدر السابق ص١١٧ نقلا عن « المشرع » .

عام ١٤٢٢ هـ بعض الزيادات المناسبة للعصر، حيث عقدت الحلقة العلمية الأولى عن وصول الإمام المهاجر إلى حضرموت، واشترك في هذه الحلقة العديد من طلاب العلم والباحثين الذين قدموا لأول مرة دراسات علمية عن الإمام المهاجر وتاريخه وعلومه وآثار انتقاله وهجرته إلى حضرموت من خلال المحاضرات واللقاءات المنعقدة في كل من سيؤون وتريم، والتي نأمل أن تظل تقليداً سنوياً يعكس الصورة العلمية والتاريخية القيمة التي أرستها مدرسة المهاجر وما جاء من بعده لخدمة الإسلام والأمة والوطن.





الفهرس